

Miraculous Artificial Intelligence: A Critical Study in Light of Qur'anic Verses

Sadeq Khalili Nasab

M.A. in Islamic Philosophy, Al-Mustafa International University, Iran.

E-mail: skhalili938@gmail.com

DOI: <https://doi.org/10.64704/aldaleel.2025082904>

Abstract

In the contemporary era, given the tremendous pace of technological advancement and its direct impact on human life, there is a greater need than ever to examine the various dimensions of technology from a religious perspective and to guide its development toward the perfection of humanity. Within this context, artificial intelligence (AI) has penetrated numerous domains of industry and achieved astonishing accomplishments. This has led some specialists in the field to suggest that AI is not limited to performing intelligent, human-like behaviors, but may also acquire the mental attributes and psychological states of human beings—such as knowledge, will, thought, and emotions. On this view, AI could ultimately surpass the human mind, potentially resulting in a future where human beings are governed and dominated by machines. This perspective is summarized in the theory of "superintelligent AI," which has sparked intense debates in philosophical and theological circles. It is evident, however, that such a view stands in sharp contrast to the religious and Qur'anic conception of the human being and his existential dimensions. Accordingly, this article, employing a descriptive and analytical methodology, examines the foundational principles of the theory of miraculous AI and compares them with the Qur'anic understanding of human nature, capacities, and existential dimensions. The aim is to evaluate, from a Qur'anic perspective, the possibility of realizing the claims of miraculous AI theory.

Keywords: Artificial Intelligence, Human Mind, Superintelligence, Soul, The Qur'an.

Al-Daleel, 2025, Vol. 8, No. 29, PP .106–135

Received: 03/07/2025; Accepted: 25/07/2025

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

© the author(s)



الذكاء الاصطناعي الخارق.. دراسة نقدية في ضوء الآيات القرآنية

صادق خليلي نسب

ماجستير في الفلسفة الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، إيران. البريد الإلكتروني: skhalili938@gmail.com

معرف الغرض الرقمي: <https://doi.org/10.64704/aldaleel.2025082904>

الخلاصة

في الوقت الراهن وبالنظر إلى التطور التقني الهائل وأثره المباشر على حياة الإنسان، نحن بحاجة أكثر من أي وقتٍ آخر إلى دراسة الأبعاد المختلفة للتكنولوجيا من منظور ديني، وتوجيهها في طريق التكامل البشري. وفي خضمّ هذه التطورات استطاع الذكاء الاصطناعي أن يدخل في مجالات كثيرة من الصناعة، وأن يحقق إنجازات مذهلة، ممّا أدى إلى أن يتصور بعض المتخصصين في هذا المجال بأنّ الذكاء الاصطناعي لا يقتصر على أداء سلوكيات ذكيّة شبيهة بالإنسان وحسب، بل يمكنه أن يمتلك الخصائص الذهنية والحالات النفسية للإنسان كالعلم والإرادة والفكر والعواطف وغيرها، الأمر الذي قد يؤدي إلى أن يتفوق الذكاء الاصطناعي على ذهن البشري، وحينها يصبح الإنسان محكومًا ومسيطرًا عليه من قبل الروبوتات. تُعرف هذه النظرة إلى الذكاء الاصطناعي بنظرية الذكاء الاصطناعي الخارق وقد أثارت جدلاً واسعاً في الأوساط الفكرية الفلسفية والكلامية، ومن الواضح أنّها تتعارض مع النظرة الدينية والقرآنية للإنسان وأبعاده الوجودية. ومن هذا المنطلق وبمنهج توصيفي وتحليلي سوف نبيّن في هذه المقالة الأسس والمبادئ التي تبني عليها نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق، ونقارنها مع النظرة القرآنية للإنسان وقابلياته وأبعاده الوجودية؛ لكي تتبيّن لنا في النهاية مسألة إمكانية تحقّق نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق من المنظور القرآني.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الذهن البشري، الذكاء الخارق، الروح، القرآن.

مجلة الدليل، 2025، السنة الثامنة، العدد 29، ص. 106 - 135

استلام: 2025/07/03، القبول: 2025/07/25

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلف



المقدمة

مع اختراع الحاسوب في منتصف القرن العشرين وازدهاره وتطوره السريع، أصبح الحلم القديم ببناء آلات ذات قدرات مشابهة للإنسان أقرب إلى التحقق من أي وقت مضى. وفي ظل التطور الحاصل في علم البرمجة والحاسوب ظهر الذكاء الاصطناعي ليحقق هذا الحلم وينافس الذكاء البشري في كثير من الأمور.

صيغ مصطلح "الذكاء الاصطناعي" بمعناه الحديث لأول مرة في عام 1956 من قبل جون مكارثي (John McCarthy) ومارفن مينسكي (Marvin Minsky) وزملائهم في مؤتمر دارتموث⁽¹⁾

[See: Dartmouth Conference, Nilsson, Artificial Intelligence: A New Synthesis, p 23]

وأعطت الإنجازات الأولية في هذا المجال العلماء الجرأة للتنبؤ بمستقبل مشرق للذكاء الاصطناعي. فقد توقع هيربرت سيمون (Herbert Simon) في عام 1958 أنه في غضون عشر سنوات، ستكون الحواسيب قادرة على التغلب على أبطال الشطرنج - وهو تنبؤ تحقق إلى حد كبير. [حسن آهنگر، اصول و مبانی هوش مصنوعی، ص 5]

يقول سيمون في إحدى مقالاته:

«توجد الآن في العالم آلات تفكر وتتعلم وتبتكر. علاوة على ذلك، فإن قدرتها على القيام بهذه الأمور تزايد بسرعة، وفي المستقبل القريب، ستصبح نطاقات المشكلات التي يمكنها التعامل معها واسعة مثل نطاقات المشكلات التي يتعامل معها العقل البشري ... لم يعد الحدس والبصيرة والتعلم حكراً على البشر؛ إذ يمكن برمجة أي حاسوب فائق السرعة لإظهار هذه الصفات» [Dreyfus, Making A Mind Versus Modelling The Brain, p 309].

نشأت تلك التوقعات المتفائلة بمستقبل الذكاء الاصطناعي في تلك السنوات من الإنجازات الأولية، لكن تقدم الذكاء الاصطناعي بمرور الزمن أثبت أن الأمر ليس بهذه البساطة [رهنمون، داستان شيرين هوش مصنوعی، ص 20]، فتحوّلت التصريحات الحاسمة الأولى إلى شكوك وتساؤلات. ورغم أن الفلاسفة كانوا يبدون آراءهم حول هذه القضية منذ ظهورها، إلا أن التأخير في تحقيق الأهداف المرسومة للذكاء الاصطناعي جعلت الأنظار تتجه إلى الفلاسفة

1- مؤتمر دارتموث هو حدث تاريخي في مجال الذكاء الاصطناعي، ويعدّ بمنزلة نقطة البداية الرسمية لهذا المجال ليكون تخصصاً علمياً مستقلاً. عُقد المؤتمر في صيف عام 1956 في كلية دارتموث في نيو هامبشاير في الولايات المتحدة الأمريكية.

أكثر من السابق لكي يبحثوا عن إمكانية هذه المسألة، ويبيّنوا أيّمكن للذكاء الاصطناعي أن يصل إلى مستوى البشر، أو يتفوّق عليهم في يوم من الأيام؟ كما تنبأ مينسكي بقوله: «الجيل القادم من الحواسيب سيكون ذكياً لدرجة أننا سنعتبر محظوظين إذا رغب في الاحتفاظ بنا كحيوانات أليفة في منازلهم» [Searle, Minds Brains And Science, p 54].

ونظراً لاستمرار اهتمام الباحثين في الذكاء الاصطناعي والفلاسفة بمسألة إمكانية تحقّق الذكاء الاصطناعي الخارق، ولأنّ الموقف تجاهها قد يؤثّر بشكل جوهري على مستقبل الإنسان والذكاء الاصطناعي، وبسبب تعارض هذه المسألة مع النظرة الدينية للإنسان؛ تسعى هذه المقالة إلى دراسة إمكانية تحقّق الذكاء الاصطناعي الخارق من منظور جديد يعتمد على الرؤية القرآنية. ومن هذا المنطلق، سنقوم بتحليل الأبعاد الوجودية للإنسان وقدراته ومواهبه كما تصوّرها الآيات القرآنية، ثمّ نقارنها مع الأسس والمباني التي يقوم عليها الذكاء الاصطناعي؛ لكي تتبيّن لنا في النهاية إمكانية تحقّق الذكاء الاصطناعي الخارق من منظور الآيات القرآنية.

المبحث الأول: مطالب تمهيدية

أولاً: الذكاء

تحظى كلمة "الذكاء" (Intelligence) بتعريفات متعدّدة في العلوم المختلفة؛ إذ يدرس كل علم جانباً محدّداً منها؛ لهذا السبب، لا يوجد حتى بين باحثي الذكاء أنفسهم تعريف جامع ومانع يقدّم مفهوماً كاملاً للذكاء، بل تُذكر تعريفات عديدة متنوّعة مثل: القدرة على إجراء عمليات منطقية، والفهم، والتخطيط، والإدراك العاطفي، والوعي الذاتي، والإبداع، وحلّ المشكلات، والتعلّم؛ ولذا سوف نعتد في هذا البحث على تعريف واسع وشامل قدر الإمكان.

يعرّف بعض علماء الفيزياء وخبراء الذكاء الاصطناعي الذكاء بأنه «القدرة على تحقيق أهداف معقّدة». وهذا التعريف عامٌ لدرجة أنّه يضمّ كلّ التعريفات السابقة؛ لأنّ الفهم والوعي الذاتي وحلّ المشكلات والتعلّم وغيرها تعدّ أمثلةً على أهداف معقّدة يمكن لكائنٍ ذكيٍّ أن يسعى إلى تحقيقها. [Tegmark, Life 3.0, Being Human in The Age of Artificial Intelligence, p. 71]

ثانياً: الذكاء الاصطناعي

ما يزال هناك غيابٌ لتعريفٍ دقيقٍ للذكاء الاصطناعي متّفق عليه بين علماء هذا المجال؛ وذلك لأنّ مفهوم "الذكاء" نفسه لم يُحدّد بعد بشكل شامل وحاسم. لكن بناءً على التعريف العامّ الذي قدّمناه سابقاً للذكاء يمكننا تعريف الذكاء الاصطناعي بأنه: «آلة (حاسوب) تمتلك القدرة على تحقيق أهداف معقّدة». [Ibid, p 73]

ثالثاً: الآراء المختلفة في خصوص الذكاء الاصطناعي

تنبثق الآراء المتباينة في هذا المجال حول محور العلاقة بين الحاسوب والعقل (mind). وتمحور الإشكالية في السؤال التالي: هل يمكن عدّ العقل والحاسوب شيئين متقاربين؟ أو بصيغة أخرى: إلى أيّ درجة يمكن عدّ الحاسوب مشابهاً للعقل أو قريباً منه؟ يتفرّع هذا السؤال إلى ثلاثة تساؤلات فرعية؛ إذ يُنتج كلٌّ منها رؤيةً مختلفةً للذكاء الاصطناعي:

1- هل يمكن للحاسوب (الآلة) تنفيذ أفعال ذكيّة؟

2- إذا استطاع الحاسوب تنفيذ بعض الأفعال الذكيّة، فهل يقوم بها بالطريقة نفسها التي

يؤدّيها البشر؟

3- إذا نَقَّذ الحاسوب الأفعال الذكيَّة بالطريقة البشرية نفسها، فهل يعني هذا بالضرورة أنه يمتلك سماتٍ عقليةً ونفسيةً كتلك التي يمتلكها الإنسان، مثل: الوعي، والإرادة، والتفكير، والعاطفة، والشعور؟

الإجابة الإيجابية على السؤال الأول تعني أن بعض المهام التي يستطيع البشر الأذكاء تنفيذها يمكن لآلات أيضًا القيام بها. تعبّر هذه الإجابة عن المستوى الضعيف في الذكاء الاصطناعي، أي أن القدرات الحالية للحواسيب في تنفيذ العمليات الحسابية تُعدّ مثالاً على "الذكاء الاصطناعي الضعيف". [See: Brighton, Introducing Artificial Intelligence; A Graphic Guide, p. 4]

ينتمي هذا السؤال إلى مجال التقنية؛ إذ يُطلب من المهندسين الإجابة عمّا إذا كانت الآلة قادرةً على أداء أعمال ذكيَّة، وهو نقاشٌ يدور ضمن إطار الهندسة التقنية.

الإجابة الإيجابية على السؤال الثاني تعني أن الحاسوب ينفِّذ المهام الذكيَّة بالطريقة نفسها التي يعمل بها العقل البشري. على سبيل المثال، الشبكات العصبية الاصطناعية هي برامج مُستلهمة مباشرةً من تركيب الدماغ البشري. [See: Whitby, Artificial Intelligence: A Beginner's Guide, p. 35]

تعبّر هذه الإجابة عن المستوى المتوسط في الذكاء الاصطناعي. للإجابة عن هذا السؤال، يجب أن يمتلك الباحثون مهاراتٍ في علم النفس لوصف كيفية قيام البشر بالأفعال الذكيَّة، بالتعاون مع المهندسين لتحليل آلية عمل الآلة، ومن ثمّ مقارنة النتائج. هذا النقاش يندرج تحت مجال علم النفس الإدراكي.

الإجابة الإيجابية على السؤال الثالث تعني أن الذكاء الاصطناعي لا يقتصر على محاكاة طريقة عمل البشر فحسب، بل يمتلك أيضًا خصائص نفسية كالوعي والإرادة والتفكير والعاطفة وغيرها. بمعنى آخر، يصبح قادرًا على تنفيذ أيّ مهمّة فكرية يستطيع الإنسان القيام بها. تعبّر هذه الإجابة عن المستوى القويّ في مسألة الذكاء الاصطناعي، والذي لا يقتصر على مجالات الهندسة وعلم النفس فحسب، بل يندرج أيضًا ضمن النقاشات الفلسفية والكلامية. [Kurzweil, The Singularity is Near, p. 260] فالفيلسوف نيك بوستروم (Nick Bostrom) من جامعة أكسفورد يعرف الذكاء الاصطناعي القويّ بأنه: «ذكاء يفوق أفضل العقول البشرية في جميع المجالات، بما في ذلك الابتكار العلمي والذكاء العام والمهارات الاجتماعية»

[See: Bostrom, "How long before superintelligence?", pp. 11 - 30].

إنّ ما يطرح ويناقش اليوم فلسفيًا هو القول بالذكاء الاصطناعي القويّ أو الخارق؛ إذ يدور النقاش حول إمكانية صنع آلاتٍ تتصرّف بذكاءٍ شبيه بالبشر، بل وتمتلك عقلًا واعيًّا كالإنسان، ممّا أثار خلافاتٍ فلسفيةً وحتىّ كلاميةً.

بناءً على ذلك، يمكن تصنيف الذكاء الاصطناعي إلى ثلاث فئات:

الذكاء الاصطناعي الضعيف (ANI - Artificial Narrow Intelligence)

الذكاء الاصطناعي المتوسّط أو العامّ (AGI - Artificial General Intelligence)

الذكاء الاصطناعي القويّ أو الخارق (ASI - Artificial Super Intelligence)

إنّ نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق - التي تدّعي إمكانية خلق آلات تمتلك كلّ القدرات المرتبطة بذكاء الإنسان (كالإرادة، والوعي، والتفكير، وفهم المعنى واللغة، والتعلّم، إلخ) - تدخل في مجالات مختلفة من العلوم كعلم النفس، وعلم الأحياء، واللسانيات، والمنطق، والفلسفة، وعلم الكلام؛ إذ تبحث من حيثيات مختلفة بما تتناسب مع موضوعات تلك العلوم. ونحن سوف نبحث في هذه المقالة إمكانية تحقّق الذكاء الاصطناعي الخارق من منظور ديني وقرآني؛ نظرًا لندرة الأبحاث التي تناولت الذكاء الاصطناعي من هذه الزاوية؛ ولأنّ التفسير الديني والقرآني قد يلعب دورًا محوريًّا في توجيه مسار تطوّر هذه التقنية. من هنا ومن أجل بيان الرؤية القرآنية في خصوص إمكانية تحقّق الذكاء الاصطناعي الخارق سوف نقوم في تحليل المبادئ والأسس الحاكمة لتقنية الذكاء الاصطناعي، ومن ثمّ نبين رؤية القرآن بالنسبة للإنسان والمعرفة البشرية؛ لكي نقيّم على أساسها المبادئ الأنثروبولوجية التي يقوم عليها الذكاء الاصطناعي، وبالتالي نحدد مدى إمكانية تحقّق نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق بناءً على النظرة القرآنية.

المبحث الثاني: الاتجاهات المختلفة في مجال الذكاء الاصطناعي

قبل الخوض في بيان الأسس والمبادئ التي يبني عليها الذكاء الاصطناعي، من الضروري استعراض الاتجاهات المختلفة المتعلقة بالذكاء الاصطناعي لفهم أبعاده التقنية بشكل أعمق.

أولاً: الرمزية (Symbolism)

تعرف هذه الرؤية أيضاً باسم الذكاء الاصطناعي الكلاسيكي (Classical AI) أو التقليدي (Traditional AI)، وهي تنبثق من النظرة الحوسبية للعقل. سيطر هذا الاتجاه على مجال الذكاء الاصطناعي من الخمسينيات حتى أواخر الثمانينيات، وتقوم الفكرة الأساسية في الرمزية على مبدأ بسيط مفاده أن "التفكير هو في جوهره عملية حسابية"، وبناءً على هذا المبدأ يترتب أمران: أولاً أن التفكير لا يعدو أن يكون سوى عمليات حسابية، وثانياً الأفكار عبارة عن رموز مركبة من رموز أساسية، تجمع بين خصائص نحوية (تركيبية) ودلالية (معنوية).

[See: Ravenscroft, Ian, Philosophy of mind: a beginner's guide, p. 27]

وفقاً لهذا المنظور، تعمل آلية العقل في عملية اكتساب المعرفة على النحو التالي:

يكون العقل صور ذهنية مستمدة من العالم الخارجي، تعكس هذه الصور الحقائق الخارجية، فتتشكل المعرفة عن العالم عبر هذه الصور وعبر المعالجة الذهنية التي تجري عليها. وفي النموذج الحاسوبي للعقل، يُعدّ العقل - شأنه شأن الحاسوب - مزوداً ببرنامج أو مجموعة قواعد محدّدة، والتفكير العقلي هو عبارة عن عملية معالجة البيانات المتمثلة في التصوّرات أو الرموز الأخرى.

توصل آلان نيول (Alan Newell) وهيربرت سايمون (Herbert Simon) - من الرائدةين للاتجاه الرمزي في الذكاء الاصطناعي - إلى أن البتات (Bits) التي يستخدمها الحاسوب الرقمي في معالجة البيانات ليست مجرد رموز للأرقام، بل يمكنها تمثيل أي شيء آخر، بما في ذلك سمات العالم الخارجي. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ البرنامج المستخدم في هذا الحاسوب يعكس العلاقات بين البتات، وبذلك يستطيع الحاسوب - عبر معالجة البتات (التي يمثل كلٌّ منها سمةً في العالم الخارجي) - توليد معلومات جديدة حول خصائص هذا العالم. أسس نيول (Newell) وسايمن (Simon) فرضيةً مفادها أنّ الدماغ البشري والحاسوب الرقمي، رغم اختلافهما الجذري في البنية والآلية، يشتركان في الوظيفة. ووفقاً لرؤيتهما يمكن توصيف الدماغ بأنّه جهاز يبتني على العلامات الفيزيائية، وتكمن وظيفته في معالجة بيانات هذه العلامات. وبناءً على فرضية نظام العلامات فإنّ الإنسان يُظهر سلوكاً رمزياً؛ لأنّه يمتلك خصائص نظام العلامات الفيزيائية.

[See: Newell & Simon, Computer Science as Empirical Inquiry; Symbols and Search, p. 119]

إنّ الاتجاه الرمزي في الذكاء الاصطناعي استطاع أن يحقق إنجازاتٍ كثيرةً في فترة قصيرة؛ إذ تمكن الحاسوب الذي صمّمه نيول وسايمون بسرعة من حلّ بعض الألغاز وإثبات نظريات في المنطق. وأعلن سايمون قائلاً: «لا أهدف إلى إدهاشكم أو صدمكم، لكنّ أسهل طريقة لأخص لكم الأمر هي أن أقول: توجد الآن في العالم آلاتٌ تفكّر وتعلّم وتُبدع... لم يعد التفكير والتعلّم ملكيةً حصريّةً للبشر، فبإمكاننا برمجة أيّ حاسوب فائق السرعة لإظهار هذه السمات» [See: Dreyfus & Dreyfus, Making A Mind Versus Modelling The Brain, p. 312].

بعد تحقيق هذه الإنجازات واجه الاتجاه الرمزي تحدياتٍ جديدةً في أداء بعض السلوكيات الشبيهة بالإنسان، فالحواسيب التي صمّمها أنصار الاتجاه الرمزي لم تكن قادرةً على تنفيذ المهامّ اليومية التي يؤدّيها البشر بسهولة في حياتهم. في الواقع، محاولة محاكاة الأفعال الذكيّة للإنسان - بناءً على فكرة إمكانية تقسيم أيّ فعل إلى عناصره الأوليّة، ثمّ برمجتها بحيث تتفاعل هذه العناصر معاً لتمثيل الفعل الأصلي - كانت تواجه خطر الانهيار.

ثانياً: الاتّصالية (Connectionism)

في مقابل الاتجاه الرمزي للذكاء الاصطناعي، ظهر اتجاه آخر يعرف بالاتّجاه الاتّصالي - المعروف أيضاً باسم الشبكات العصبية - بالتزامن مع ظهور الاتجاه الرمزي، ففي الخمسينيات، مع بدء برامج أنصار الاتجاه الرمزي، دخلت الاتّصالية الساحة على يد فرانك روزنبلات (Frank Rosenblatt)، لكنّها لم تجذب الانتباه ولم تكن اتّجهاً رائداً في مجال الذكاء الاصطناعي إلّا في منتصف الثمانينيات. [ريونز كرافت، فلسفهى ذهن.. يك راهنماى مقدماتى، ص 166]

نشأ الاهتمام بهذا الاتجاه نتيجة فشل الحواسيب المبرمجة وفق الاتجاه الرمزي في أداء مهامّ بسيطة ينجزها أيّ إنسان في حياته اليومية. على سبيل المثال، يستطيع أيّ شخص السير في غرفة دون الاصطدام بالعوائق، بينما تعجز الآلات الذكيّة المبرمجة وفق الاتجاه الرمزي عن ذلك؛ لذلك بدأ بعض باحثي الذكاء الاصطناعي يتساءلون: كيف يمكن جعل الآلات قادرةً على أداء هذه المهامّ؟

إنّ البشر يتعلّمون هذه المهارات عبر التجربة، فإنّ الطريقة المثلى لصنع آلات ذكيّة قادرة على ذلك هي منحها القدرة على التعلّم. وهذا لا يتحقّق إلّا إذا صمّمت الحواسيب وفق النموذج البشري، وهو ما مثّل تحوّلاً كبيراً في مسار تطوير الذكاء الاصطناعي، وأسفر عن ظهور منهج الاتّصالية. استفاد أنصار الاتّصالية (Connectionism) من التطوّرات في علم الأعصاب

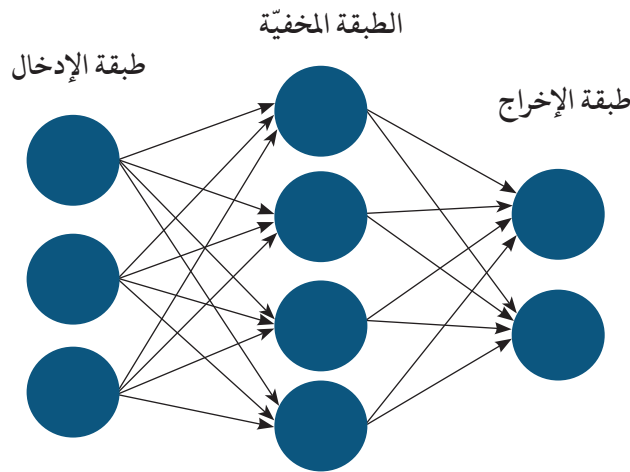
لفهم آلية عمل الدماغ والجهاز العصبي البشري. فهم بدلاً من محاولة فهم العقل بناءً على بنية الحاسوب، سعوا إلى تصميم حواسيب تُحاكي البنية العصبية للإنسان.

فالدماغ على عكس الحاسوب لا يحتوي على وحدة معالجة مركزية، بل تتم معالجة المعلومات فيه بشكل متوازٍ⁽²⁾ (Parallel)، بينما تعالج الحواسيب البيانات بطريقة التسلسل⁽³⁾ (Serial). وهذا يعني أنّ الدماغ عندما يقوم بمعالجة البيانات الواردة، تقوم أجزاء متعدّدة من الدماغ بعملية معالجة البيانات، ولا يقتصر العمل في جزء محدّد من الدماغ. بناءً على هذا، فإنّ الآلات التي يسعى أنصار الاتجاه الاتّصالي إلى تصميمها ينبغي أن تحاكي الدماغ البشري، وفي هذه الآلات لا يتمّ توزيع عمليات المعالجة فحسب، بل يوجد تفاعل بين الأجزاء المختلفة المكوّنة للنظام.

إنّ الشبكات الاتّصالية تُبنى من آلاف الوحدات المترابطة، مرتّبةً في طبقات متعدّدة. على سبيل المثال في الشبكة الاتّصالية العادية، توجد ثلاث طبقات: طبقة الإدخال، الطبقة المخفية، طبقة الإخراج؛ إذ تكون كلّ وحدة في طبقة الإدخال متّصلةً بجميع الوحدات في الطبقة المخفية، وكلّ وحدة في الطبقة المخفية متّصلةً بجميع وحدات طبقة الإخراج.

[Ravenscroft, Ian, Philosophy of mind: a beginner's guide, p. 157]

يمكن تصوير التفاعل بين الطبقات المختلفة في الشبكات الاتّصالية عبر الشكل التالي:



2- في هذا النوع من المعالجة، يقسّم كلّ برنامج إلى عدّة أجزاء، وتتمّ معالجة هذه الأجزاء في وقت واحد (بشكل متوازٍ حقيقي) بواسطة عدّة معالجات دقيقة.

3- الطريقة المعتادة لمعالجة المعلومات في الحاسوب تعتمد على هذا النوع؛ أي أنّ الأوامر تنفّذ بواسطة معالج دقيق واحد تلو الآخر وبترتيب معيّن.

تمكن أتباع الاتجاه الاتصالي من بناء آلات قادرة على تنفيذ مهام تفتقر إليها الحواسيب التقليدية. على سبيل المثال، تمتلك هذه الآلات قدرةً على التعلّم، وتحافظ على أدائها حتى مع وجود مدخلات ذات جودة رديئة. بالإضافة إلى ذلك، تتمتع هذه الآلات بميزة أخرى، وهي قدرتها على العمل حتى في حال تعطل بعض وحداتها.

[See: Ravenscroft, Ian, Philosophy of Mind: A Beginner's Guide, p. 165]

ولكن على الرغم من أنّ الذكاء الاصطناعي الاتصالي استطاع أن يحلّ المشكلات بكفاءة أعلى من الذكاء الاصطناعي الرمزي، إلا أنّ الأخير قد يكون أكثر استخداماً في بعض الحالات - خاصةً في المهام الحسّابية - نظراً لتركيز منظري الذكاء الاصطناعي الرمزي على المنطق والآلات الحسّابية؛ لذلك لم يتمّ التخلّي عن هذا الاتجاه (الرمزي) بشكل كامل. [عباس زاده جهرمي، ذهن و هوش مصنوعى، ص 186]

المبحث الثالث: أسس الذكاء الاصطناعي ومبادئه

بعد التعرّف على الاتجاهات المختلفة المتعلقة بالذكاء الاصطناعي، ينبغي أن نتطرّق إلى المبادئ والأسس الحاكمة على الذكاء الاصطناعي؛ وذلك لأنّ إمكانية تحقّق نظرية "الذكاء الاصطناعي الخارق" بناءً على أيّ واحد من الاتجاهين المذكورين في المبحث السابق، تتوقّف على المبادئ المعرفية (الإبستمولوجية) والأنثروبولوجية (الإنسانية) التي يعتمد عليها.

أولاً: المبادئ المعرفية

نشأت نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق بوصفها إحدى نتائج المادّية التجريبية في العقود الأخيرة. وبما أنّ المبدأ المعرفي المركزي للمدارس الفكرية التجريبية هو حصر المعرفة البشرية في الحسّ والتجربة، فإنّ هذه النظرية أيضاً تُبنى على الأساس نفسه، وبناءً عليه المعرفة تكون ذات معنى ويمكن وصفها بالصدق والكذب، إذا أمكن إثباتها أو نفيها بالمنهج التجريبي. [انظر: معلمى، نگاهى به معرفت شناسى در فلسفهى غرب، ص 173]

من وجهة النظر التجريبية، تكتسب المعرفة قيمتها عندما تتعلّق بوجود خارجي ومحسوس فقط، ويكون الحسّ والتجربة الحسّية هما الطريق الوحيد لتقييمها. وإحدى النتائج الضرورية لهذا الأساس المعرفي حصر الوجود في المادّة وإنكار أيّ بُعد غير مادّي أو ميتافيزيقي للعالم؛ لأنّ الافتراضات الميتافيزيقية والدينية لا يمكن تقييمها عبر الملاحظات الحسّية والتجريبية.

تنعكس تبعات هذا الأساس المعرفي - الذي تقوم عليه نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق - على مبادئها الأنطولوجية (الوجودية) والأنثروبولوجية (الإنسانية)، والتي سنناقشها لاحقاً.

ثانياً: المبادئ الوجودية

أ- حصر الوجود في المادة

كما سبق الإشارة إليه، فإنّ النتيجة الحتمية للأساس المعرفي للذكاء الاصطناعي الخارق هي حصر الوجود في المادة، أي أنّ جميع الكائنات في العالم مادية، وهو ما يُعرف بمبدأ أصالة المادة (Materialism). ويعرف جميل صليبا هذا المبدأ بقوله إن: «المادية منهج يفسّر كلّ شيء بأسباب مادية، ويرى أنّ المادة فقط هي الجوهر الحقيقي للعالم، وأنّ جميع ظواهر الحياة والحالات النفسية يمكن تفسيرها من خلالها» [جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 563].

ب- نفي العلة الفاعلية بمعنى مفيض الوجود

العلّة الفاعلية هي السبب الموجد للمعلول، وهي على نوعين:

الفاعل الطبيعي: وهو ما يُعرف في الطبيعيات باسم "العلّة الفاعلية"، ويقصد به مصدر الحركة والتحوّلات في الأجسام.

الفاعل الإلهي: وهو ما يُبحث عنه في الإلهيات، ويقصد به الموجود الذي يُحدث المعلول (مفيض الوجود) ويُعطيه الوجود. ولا يوجد مصداق لهذا إلا بين المجرّدات؛ لأنّ العوامل الطبيعية لا تكون إلا مصدراً للتحوّلات في الأشياء، وليس هناك أيّ عامل طبيعي يمكنه إيجاد موجود آخر من العدم إلى الوجود. [مصباح البيزدي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ج 2، ص 34]

إنّ أتباع نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق بناءً على نظرتهم المادية للوجود، يرون أنّ العوامل المكوّنة للوجود هي عوامل مادية مجتة، وينكرون أيّ فاعل مجرد أو غير مادي. ونتيجة لذلك، يعدّون المادة كائنًا قديمًا موجودًا منذ الأزل، لا تحتاج إلى خالق؛ إذ تطوّرت وتكاملت من خلال التفاعلات الكيميائية فقط. والإنسان بوصفه أحد كائنات هذا العالم نتاج تطوّر المادة عبر ملايين السنين، وبالتالي من الممكن - في المستقبل - تحقيق كائن مادي بقدرات عقلية تفوق بكثير تلك التي يمتلكها الإنسان.

ثالثًا: المبادئ الإنثروبولوجية

أ- العلاقة بين الذهن والبدن

تعدّ النظرة الأحادية (Monism) للعلاقة بين الذهن والبدن من أهمّ الأسس الأنثروبولوجية لنظرية الذكاء الاصطناعي الخارق. وفقًا لهذه النظرة لا تُعدّ الحالات الذهنية والجسدية للإنسان بُعدين منفصلين، بل الحالات الذهنية هي مجرد نتاج لعمليات فيزيائية داخل المخّ أو الجهاز العصبي المركزي. هذه الرؤية المادية الأحادية للإنسان هي نتيجة طبيعية للأساسين المعرفي والوجودي للذكاء الاصطناعي؛ لذلك يعارض باحثو الذكاء الاصطناعي تمامًا فكرة أنّ للإنسان بعدًا آخر يُسمى "الروح"، أو أنّ مصدر الإدراك البشري هو الروح.

إنّ للنظرة الأحادية للعلاقة بين الذهن والبدن تفسيراتٍ مختلفةً لدى فلاسفة الذهن، ولتوضيح الرؤية التي يعتمدها باحثو الذكاء الاصطناعي؛ يجدر بنا عرض هذه التفسيرات بشكل موجز.

1- نظرية التطابقية

نظرية التطابقية (Type physicalism) هي إحدى النظريات البارزة في فلسفة العقل، ويمكن تصنيفها بوصفها أحد فروع النظرة الأحادية للعلاقة بين العقل والبدن. وفقًا لهذه النظرية، فإنّ الحالات والعمليات الذهنية هي نفسها حالات الدماغ وعملياته. على سبيل المثال، عندما ترى شيئًا أو تشعر بألم، فإنّ هذه الحالات العقلية تسبب نشاطًا دماغيًا، وهذه الحالات ليست شيئًا منفصلًا عن النشاط الدماغي، بل هي بالتحديد حالات الدماغ نفسها. ومع أنّنا لم نتمكن بعد من إثبات بعض حالات المطابقة هذه، إلا أنّ هذه المسألة ستحلّ مع تقدّم العلم بمرور الزمن؛ ولهذا السبب يقول تشيرشلاند (Paul Churchland): «كلّ ما نحتاجه لهذا الغرض هو أن يتطوّر علم الأعصاب بنجاح في تفسيره لحالات الذهن إلى الحدّ الذي يبيّن بشكل واضح الافتراضات والمبادئ التي تشكّل الإطار المفاهيمي لفهمنا للحالات الذهنية».

[Churchland, Matter and Consciousness: A Contemporary Introduction to the Philosophy of Mind, p. 45]

2- السلوكية

تعدّ السلوكية (Behaviorism) إحدى النظريات البارزة في فلسفة العقل، والتي تصنّف بوصفها أحد فروع النظرة الأحادية للعلاقة بين العقل والبدن. يصف كيث ماسلين (Keith Maslin) رؤية السلوكية التحليلية قائلاً: «تؤمن السلوكية التحليلية بأنّ

التحليل يُظهر أنّ القضايا المتعلقة بالعقل والحالات الذهنية تعادل قضايا تصف السلوك العام للشخص، سواء كان فعلياً أو محتملاً» [Maslin, An Introduction to the Philosophy of Mind, p. 59].
وفقاً لهذه الرؤية، لا تعدو الحالات الذهنية للشخص أن تكون سوى أنماط سلوكية يُظهرها الشخص أو يكون مستعداً لإظهارها في الظروف المناسبة.

من وجهة نظر السلوكي، لا يمثّل العقل سوى السلوك فحسب، وبالتالي لا يمكن أن تنشأ أيّ مخاوف حول طبيعة العقل باعتباره جوهرًا غير ماديّ. [See: Lycan, Philosophy of Mind, p. 176].
يدعي السلوكيون أنّ أيّ جملة حول الحالة الذهنية يمكن إعادة صياغتها بعبارة أو جملة تصف السلوك الملاحظ للشخص في تلك الحالة، ويجب اعتبار هذه الأوصاف السلوكية تعبيراً عن الطبيعة الحقيقية للظواهر العقلية.

3- الوظائفية

إنّ إحدى النظريات المطروحة في العلاقة بين الذهن والبدن، والتي تندرج ضمن النظرة الأحادية هي النظرية الوظائفية (Functionalism). من وجهة النظر الوظائفية، فإنّ السمة المميزة لكلّ حالة ذهنية هي في الواقع مجموعة معقّدة من ثلاث علاقات سببية تربط تلك الحالة الذهنية والواقع الخارجي:

1- تأثيرات البيئة على الجسم (المدخلات البيئية). 2- السلوك الجسدي (المخرجات السلوكية). 3- الحالات الذهنية الأخرى. [See: Martin Davies, The Philosophy of Mind, p. 27].

يشير تشيرشلاند (Paul Churchland) إلى أنّ الوظائفية هي وريثة السلوكية، لكنّه يبيّن فارقاً جوهرياً بينهما: «سعى السلوكي إلى تعريف الحالات الذهنية حصرياً من حيث المدخلات البيئية والمخرجات السلوكية، بينما يرفض الوظيفي إمكانية ذلك. في رأي الوظيفي، فإنّ التوصيف الكافي لأيّ حالة ذهنية يتطلّب الإشارة إلى حالات ذهنية أخرى مترابطة سببياً مع الحالة المعنيّة، وبالتالي، فإنّ تقديم تعريف تحليلي للحالات الذهنية باستخدام المدخلات والمخرجات القابلة للملاحظة فقط هو أمر مستحيل تماماً».

[Churchland, Matter and Consciousness: A Contemporary Introduction to the Philosophy of Mind, p. 58]

هذا الاختلاف الجوهرى بين الرؤيتين يجعل أحد الانتقادات الأساسية الموجّهة للسلوكية - والتي كانت تركّز فقط على المدخلات والمخرجات دون الاهتمام بالعمليات الداخلية للنظام (أي المعالجة أو التحليل) - غير واردٍ على الوظيفية؛ ولهذا السبب، أصبحت هذه الرؤية أكثر قبولاً من السلوكية وحتى من النظريات المنافسة الأخرى. وكما يقول تشيرشلاند: «تعتبر الوظائف الوظيفية النظرية الأكثر قبولاً حول العقل بين الفلاسفة وعلماء النفس وباحثي الذكاء الاصطناعي».

[Ibid, p. 61]

من ناحية أخرى، هناك اختلاف جوهري وأساسي بين هذه النظرية (الوظيفية) ونظرية المطابقة (الهوية). كما سبق ذكره، في نظرية المطابقة كان هناك تطابق بين الحالات الذهنية وحالات الدماغ، وبالتالي فإنّ الجسد الوحيد الذي يمكن أن يحقّق العقل يجب أن يكون له بنية وتركيبية مطابقة تماماً للدماغ. أمّا في الوظيفية، فلا يوجد مثل هذا التقييد؛ إذ يمكن لنظامين مختلفين أن يؤدّيا الوظيفة العقلية نفسها.

هذه النتيجة المهمّة التي تظهر في ضوء الفرق بين الوظائف الوظيفية ونظرية المطابقة، منحت الوظائف القدرة على البحث عن نماذج أخرى غير الدماغ لخلق العقل وكائن ذكي. وفي هذا السياق، وبفضل التطوّر والنجاحات التي حقّقها (الحاسوب) في المدّة الأخيرة، أصبح هذا الجهاز - من وجهة نظرهم - الخيار الأفضل والأكثر سهولةً لحاكاة العقل، وما يزال كذلك حتى الآن.

ب- الدماغ هو الأداة الإدراكية الوحيدة للإنسان

إنّ إحدى النتائج المترتبة على النظرة الأحادية والماديّة للإنسان هي البحث عن مصدر إدراكاته في هذا الجسد الماديّ فحسب. فأنصار نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق يعدّون الدماغ البشري - بوصفه مركز الجهاز العصبي - هو العامل المسؤول عن الفهم ومصدر جميع الإدراكات البشرية. ومن وجهة نظرهم، حتى أكثر الوظائف الذهنية تعقيداً ليست سوى نتاج تفاعلات فيزيائية بين الخلايا العصبية، رغم أنّ الكثير من التفاصيل الدقيقة لهذه التفاعلات لم تُفك شفرتها بعد. كما يقول ماكس تيجمارك (Max Tegmark) - أحد باحثي الذكاء الاصطناعي - في هذا الصدد: «تستند معظم النظريات الحديثة حول الوعي إلى علم الأعصاب النفسي والعصبي، وتسعى إلى تفسير الوعي وتوقعه بناءً على الأحداث العصبية التي تحدث في الدماغ».

[Tegmark, Life 3.0, Being Human in the Age of Artificial Intelligence, p. 450]

المبحث الرابع: الإنسان في رؤية القرآن

بعد بيان المعنى المقصود من الذكاء الاصطناعي الخارق والمبادئ المعرفية والوجودية والأنثروبولوجية التي يبني عليها، وصل بنا المقام إلى بيان رؤية القرآن للإنسان، ففي العديد من آيات القرآن الكريم، تطرّق الباري إلى مسألة خلق الإنسان ومكانته في نظام الوجود، وأبعاده وقدراته الوجودية. ومن خلال جمع هذه الآيات ودراستها، يمكن الوصول إلى الرؤية القرآنية حول حقيقة الإنسان، والتي يمكن تقييم إمكانية تحقق نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق بناءً عليها.

أولاً: الأبعاد الوجودية للإنسان

هناك آيات قرآنية كثيرة تؤكد أنّ حقيقة الإنسان لا تنحصر في جسده المادّي فحسب، بل له بعد غير مادّي يشكل الجوهر الحقيقي لهويته الإنسانية. يقول ﷻ: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [سورة السجدة: 9] وفي آية أخرى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة ص: 72]، يُعرّف القرآن البعد الثاني للإنسان بأنه الروح، ويعدها حقيقته الجوهرية. وهذا ما تؤكدّه الآية الكريمة في خطابها لفرعون: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [سورة يونس: 92]. ففي هذه الآية، يُخاطب فرعون - الذي أغرقه الله ﷻ وحفظ جسده الميّت بعنايته ليكون عبرةً للآخرين - ممّا يدلّ على أنّ فرعون بوصفه شخصيةً إنسانيةً يبقى كياناً متكاملًا حتى بدون جسده، قادرًا على فهم مضامين الخطاب الإلهي. يقول السيّد الطباطبائي في تفسيره للآية المباركة: «وبالجملة فالآية: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ كالصريح أو هو صريح في أنّ النفوس وراء الأبدان» [الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 10، ص 119]. من المنظور القرآني، يمتلك الإنسان - إلى جانب جسده المادّي - روحًا تشكّل شخصيته وهويته. هذا البعد الوجودي الذي يعبر عنه في القرآن أحيانًا بـ"النفوس" كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [سورة الأنعام: 93] هو كيان مجرد (غير مادّي) ينفصل عن الجسد بعد الموت ويستمرّ في الحياة في عالم آخر: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: 154].

يصف القرآن هذه الحياة بأنها الحياة الحقيقية: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمُ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 64]، بينما يشنّع على الذين

يحصرون الإنسان في جسده المادي فقط: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلْنَا لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة الرعد: 5].

ثانياً: القدرات (القابليات) الوجودية للإنسان

أ- الخلافة الإلهية

وفقاً للآيات القرآنية الكريمة، جعل الله الإنسان خليفة له في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: 30]. وقد بلغت مكانة هذه الخلافة من السموم ما جعل الملائكة يؤمرون بالسجود للإنسان: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [سورة البقرة: 34]. وفي سياق آخر، يذكر القرآن تعليم الله ﷻ لآدم الأسماء كلها: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [سورة البقرة: 31 و32]. ومع اختلاف المفسرين في حقيقة هذه الأسماء وطبيعة هذا التعليم، إلا أن الثابت هو أن الملائكة - رغم مقامهم الرفيع - لم يكونوا عارفين بهذه الأسماء، مما يجعل هذه المعرفة سرّاً تفوق الإنسان وسبب خلافته وسجود الملائكة له. من هنا يمكن أن نستنتج من خلال هذه الآيات القرآنية أن قدرة الإنسان على معرفة الأسماء لا ترجع إلى بعده المادي؛ إذ إن مرتبة الملائكة الوجودية تفوق بكثير المرتبة المادية للعالم؛ ولذا لا بد أن يكون للإنسان بعد آخر يكون هو السبب في تفوق الإنسان على الملائكة، واستدعى الأمر الإلهي بسجود الملائكة للإنسان.

ب- الإرادة الحرة

بنظرة عامة إلى الآيات القرآنية، نجد أن الإنسان حسب الرؤية القرآنية هو كائن مختار. فمجيء الأنبياء ونزول الكتب السماوية بدون وجود حرية اختيار لدى الإنسان يكون أمراً عبثياً. وبالتالي، فإن هذا الأمر يدل على أن الله ﷻ والأنبياء ﷺ يعدّون الإنسان حراً في اختياره، وفيما يلي بعض الآيات القرآنية الدالة على حرية إرادة الإنسان:

1- آيات الابتلاء والاختبار: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة الإنسان: 2 و3]. هذه الآيات تشير بوضوح إلى ابتلاء الإنسان واختباره، ومن دون وجود إرادة حرة للإنسان لا معنى لاختباره وابتلائه.

2- آيات البشارة والإنذار: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 213]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر: 24] التبشير والإنذار المشار إليه في هذه الآيات متفرع عن وجود إرادة حرّة في الإنسان، وإلا إذا كان الإنسان مجبوراً في أفعاله فلا معنى لتبشيره أو إنذاره من نتيجة أعماله.

3- آيات العهد والميثاق: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة يس: 60 و61] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [سورة البقرة: 83] يمكن بالاعتماد على هذه الآيات أيضاً إثبات وجود إرادة حرّة في الإنسان؛ لأنّه لو لم يمتلك الإنسان الاختيار في أفعاله لم يؤمر الإنسان في أن يترك عبادة الشيطان ويلتجئ إلى عبادة الله ﷻ.

إذن حرّية الإنسان في اختياره قد تكون دليلاً على وجود بُعد آخر فيه غير الجسد المادّي، البعد الذي يدفع الإنسان نحو الأمور المعنوية؛ وذلك لأنّ الإرادة الحرّة وقوّة الاختيار لا معنى لها بدون وجود ميول متعدّدة ومتضادّة أحياناً في الإنسان. إنّ الميل نحو الأمور المادّية وفي المقابل الميل نحو الأمور المعنوية (مثل التضحية والميل نحو الأمور اللامتناهية) يدلّ على وجود أبعاد متعدّدة في الإنسان؛ إذ لا يمكن للجسد المادّي وحده أن يكون مصدراً للميول المادّية والمعنوية معاً، خاصّةً عندما تكون هذه الميول متضادّة. يقول الأستاذ مطهري نقلاً عن وليام جيمس (William James) عالم النفس التجريبي: «إنّ في الإنسان كما توجد سلسلة من الميول نحو الطبيعة والمادّة التي تربطه بالطبيعة، توجد أيضاً سلسلة أخرى من الميول لا تتوافق مع الحسابات المادّية، بل تناقضها. فبينما تهدف ميول الارتباط بالطبيعة إلى استغلالها والانتفاع بها، فإنّ هذه الميول الأخرى تدفع الإنسان إلى الابتعاد عن الطبيعة والتضحية بها. للإنسان في هذا العالم ميول لا تتناسب مع الجانب الطبيعي والمادّي لوجوده، وهذه الميول دليل على وجود عالم آخر، وهذه المشاعر تربطنا بذلك العالم الآخر» [مطهري، مجموعته آثار شهيد مطهري، ج 22، ص 601].

ج- إمكانية التكامل والوصول إلى القرب الإلهي

إنّ قوّة الإرادة والاختيار هي من أكبر النعم التي أنعم الله ﷻ بها الإنسان، وهي قدرة تعود جذورها إلى حكمة الابتلاء في نظام الخلق. ومن خلالها، يستطيع الإنسان أن يشكّل مصيره

ومصير الآخرين، بل ويهيئ الأرضية لتغيير القدر الإلهي، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: 11]. من أهم نتائج الإرادة الحرة عند الإنسان هو إمكانيةه في الصعود والنزول من سلم التكامل البشري؛ فبإمكانه أن يهبط إلى مستوى يكون أدنى مرتبةً من الإنعام ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ﴾ [سورة الأعراف: 179]، وكذلك يستطيع أن يرتقي إلى مرتبة أعلى من الملائكة المقربين ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [سورة النجم: 8 و9]

إنَّ قوّة الإنسان في التكامل والوصول إلى القرب الإلهي ليست من شؤون جسمه المادّي؛ لأنّ عالم المادّة حسب الترتيب الوجودي يقع في أدنى مراتب الوجود، ومن جهة أخرى إنّ البعد والقرب الإلهي ليس مكانياً؛ ولذلك لا يغيّر شيئاً في جسم الإنسان، بل يبقى الجسم على حاله ولا ينتقل إلى مكان آخر. من هنا لا بدّ من البحث في بعد آخر للإنسان يتناسب مع مراتب عالية من الوجود والقرب الإلهي.

د- الفطرة

يُستفاد من الآيات القرآنية أنّ لدى الإنسان، بالإضافة إلى معرفته العقلية بالله ﷻ - وهي معرفة استدلالية يعرف بها الخالق من خلال آثاره - معرفةً قلبيةً به تعالى لا تحتاج إلى الاستعانة بالمخلوقات أو الاستدلال العقلي. يعود أصل هذه المعرفة إلى عوالم سابقة على العالم الحالي؛ إذ جمع الله سبحانه جميع البشر في عوالم يُعبّر عنها أحياناً بعالم الذرّ أو عالم الأرواح، وعرفهم بنفسه مباشرةً دون وسيط، ثمّ أخذ منهم الإقرار بربوبيته. وهذه المعرفة - المتضمّنة للإقرار بالتوحيد - قد طبعت في أرواحهم وقلوبهم، ومن ثمّ يدخلون العالم الحالي بهذه الفطرة التوحيدية، فتكون أوّل معرفة لهم عن الله ﷻ هي هذه المعرفة القلبية الفطرية. كما ورد في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: 172]، وما يفهم من ظاهر هذه الآية أنّ الإنسان قد خوطب قبل مجيئه إلى الدنيا، وإقراره بوحدانية الله تعالى قد يكون دليلاً على أنّ حقيقة الإنسان غير جسده المادّي؛ لأنّ هذا الإقرار حصل قبل تكوّن الجسد المادّي.

ثالثًا: معارف الإنسان من منظور القرآن

أ- المصادر العامّة للمعرفة عند الإنسان

يُقدّم القرآن الكريم رؤية شاملة حول معارف الإنسان ومصادرها، حيث يذكر ثلاث مصادر أساسية تمكن الإنسان من السير في المعرفة الأفاقية والأنفسية، وهي عبارة عن: العقل والحس والقلب.

1- الحسّ والتجربة: هي الأدوات التي يدرك بها الإنسان العالم الماديّ من حوله، مثل السمع والبصر واللمس والتجربة، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: 78].

2- العقل: إنّ العقل يعدّ من الأدوات المعرفية الأخرى لدى الإنسان التي أكّدها القرآن الكريم، وهو قوّة إدراكية يمتاز بها الإنسان عن سائر الحيوانات؛ ولذلك بلغت هذه القوّة مستوىً عاليًا من الأهميّة حيث وصف القرآن الكريم الذين لا يعقلون بشرّ الدوابّ، يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنفال: 22]. كما أنّ الأدلّة التي يقدّمها القرآن لإثبات وجود الله ﷻ وتوحيده تبرز أهميّة العقل في معرفة الحقائق والأمور، على سبيل المثال، يستدلّ القرآن الكريم بانتظام الكون وعدم الفساد فيه على وحدانية الله، وهذا في حدّ ذاته دليل منطقي نابع من العقل، يقول تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء: 22].

3- القلب: من الأدوات المعرفية الأخرى التي أكّدها القرآن الكريم هي القلب، والآيات القرآنية أشارت من جهة إلى قيمة القلب وأهميته من حيث كونه عاملاً في فلاح الإنسان، ومن جهة أخرى أكّدت دور القلب في اكتساب المعرفة والعلم. وهناك آيات قرآنية كثيرة تؤكّد أهميّة القلب ودوره في سعادة الإنسان، كما يقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: 88 و89].

أمّا فيما يخصّ الجانب الإدراكي للقلب، وهو ما يُعرف بـ"الشهود القلبي"، فيقول تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [سورة النجم: 12]. يقول السيّد الطباطبائي في معنى الرؤية في هذه الآية المباركة: «ولا بدع في نسبة الرؤية - وهي مشاهدة العيان - إلى الفؤاد؛ فإنّ للإنسان نوعاً من الإدراك الشهودي وراء الإدراك بإحدى الحواسّ الظاهرة والتخيّل والتفكّر بالقوى الباطنة، كما إنّنا نشاهد من أنفسنا أنّنا نرى وليست هذه المشاهدة العيانية إبصاراً بالبصر ولا معلوماً

بفكر، وكذا نرى من أنفسنا أننا نسمع ونشم ونذوق ونلمس ونشاهد أننا نتخيل ونتفكر، وليست هذه الرؤية ببصر أو بشيء من الحواس الظاهرة أو الباطنة» [الطباطبائي، الميزان، ج 19، ص 29].

ب- المصادر الخاصة للمعرفة عند الانسان

تضمن القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدث بشكل مباشر أو غير مباشر عن إدراكات ومعارف خاصة تمنح لبعض الناس، وتختلف جوهرياً عن المعارف والإدراكات اليومية في حياتهم. هذه الآيات تتحدث عن أنواع من المعرفة لا تُكتسب بالطرق المعتادة، بل تُمنح للإنسان بطريقة غير اعتيادية، أو تُسلب منه فجأة. وفيما يلي إشارة إلى بعض هذه الآيات:

1- العلم بالغيب والتنبؤ بالمستقبل

العلم بالغيب هو إدراك لحقائق الكون الخفية، وهو علم لا يمكن تحصيله بالطرق الطبيعية. فقد نص القرآن الكريم على أن العلم بالغيب مختص بالذات الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الأنعام: 59]، غير أن الله تعالى يمنح هذه المعرفة - بمشيئته - لبعض عباده المختارين، يقول عز من قائل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران: 179]. إذن هناك بعض أفراد البشر تُكشف لهم الحقائق الغيبية بإذن الله. ولا يمكن تفسير إمكانية "العلم بالغيب" أو التنبؤ بأحداث المستقبل من خلال النظرة المادية الصرفة للإنسان؛ وذلك لأن طبيعة الإنسان المادية تفرض أن تكون إدراكاته إما حسية مباشرة، وإما مستمدة من الحواس. بينما "العلم بالغيب والتنبؤ بالمستقبل" لا يمكن تفسيرهما عبر آليات الإدراك الحسي البشري، بل هما خارجان عن حدود المعرفة الحسية.

2- الرؤيا الصادقة

يمكن تصنيف الرؤى التي يشاهدها الإنسان في منامه إلى نوعين: بعضها لا أصل لها ولا تعكس أي واقع خارجي، وبعضها الآخر - كالرؤى الصادقة - تنبئ بأحداث خارجية أو مستقبلية. ومن الأمثلة على ذلك: رؤيا النبي يوسف عليه السلام، يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [سورة يوسف: 4]، وقد تحققت هذه الرؤيا عندما أصبح يوسف عزيز مصر وحضر إخوته مع أبيهم يسجدون له.

والنموذج القرآني الآخر من الرؤى الصادقة هي رؤية شخصين من العاملين في قصر عزيز مصر اللذين كانا مع يوسف في السجن، يقول تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [سورة يوسف: 36] فعبر النبي يوسف ﷺ رؤياهما وتحقق ما أخبر به. السؤال الذي يطرح هنا هو أنه كيف يمكن للجسد المادي - أثناء النوم - أن يدرك أحداثًا مستقبلية؟ من الواضح أن الجسد المادي لا يستطيع تجاوز حدود الزمان والمكان، مما يدل على أن الرؤى الصادقة تنتمي إلى بُعد غير مادي في الإنسان؛ ولذا يمكن القول إن هذه الظواهر تثبت وجود الجانب الروحاني في الإنسان الذي يتجاوز القيود المادية، وهو ما يتفق مع الرؤية القرآنية لطبيعة الإنسان المركبة من مادة وروح.

3- الإلهام

الإلهام قد يكون نوعًا من الإدراك الذي لم يتم اكتسابه بأسباب عادية؛ أي أن الله يفهم الإنسان شيئًا ما، أو قد يكون من نوع الرغبة والميل؛ أي أن الله يلهم الإنسان الرغبة في شيء ما. وقد ذكر القرآن الكريم نوعًا من الإلهام يشمل جميع البشر. في سورة الشمس، بعد أحد عشر قسمًا، يقول تعالى: ﴿فَاللَّهُمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس: 8]. جميع البشر يعرفون العمل الصالح والطالح بإدراك فطري من الله ﷻ، أو يشعرون بالرغبة في العمل الصالح والطالح داخل أنفسهم، فهم لم يكتسبوا هذه الرغبات بأنفسهم ولم يتعلموها من أحد، بل هذا إلهام إلهي.

في مقابل الإلهامات العامة، توجد إلهامات خاصة تختص بمن يحسنون استخدام تلك الإلهامات الأولية. فالإلهامات الخاصة، سواء في الجانب النظري أو العملي، هي من خصائص أولياء الله تعالى. إنهم يفهمون أشياء لا يفهمها الآخرون، وأحيانًا يجدون في أنفسهم ميلًا لعمل ما؛ كأن مناديا في أعماقهم يناديهم: "افعل ذلك العمل الصالح!" فيشعرون بدافع مفاجئ للقيام به. وقد نال أئمة أهل البيت ﷺ وسيدة النساء فاطمة الزهراء ﷺ حظًا وافراً من هذه الموهبة الإلهية.

4- العلم اللدني

ومن بين الإدراكات الخاصّة ببعض أفراد البشر، إدراكات تُعرف باسم "العلم اللدني". وقد ذُكر هذا النوع من العلم بشكل صريح في عدّة آيات قرآنية، منها على سبيل المثال ما ورد بشأن النبي محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [سورة طه: 99]. وكذلك في قصّة الخضر عليه السلام: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [سورة الكهف: 65]. فهذا العلم يُمنح مباشرةً من لدن الله ﷻ دون وساطة التعلّم البشري التقليدي، وهو خاصٌّ بأنبيائه وأوليائه المخلصين. ومن وجهة نظر القرآن الكريم، فإنّ اكتساب هذه المعارف لا يكون ممكنًا إلا بتوفّر شروط روحية خاصّة للإنسان، ولا يكفي مجرد امتلاك الفكر والعقل المادّي المتاح لجميع البشر للوصول إلى تلك المعارف. هذا النوع من العلم، الذي أطلق عليه القرآن الكريم اسم "العلم اللدني"، لا يُنال إلا بالعبودية الخالصة لله وحده. وكما وصفت الآية الكريمة الخضر عليه السلام: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾، ممّا يدلّ على درجته العالية في العبودية لله تعالى. فالعلم اللدني هبة إلهية تُمنح لأولئك الذين بلغوا أعلى مراتب التسليم والانقياد لأمر الله، وهو ليس نتاج جهد عقلي بحت، بل هو توفيق إلهي يخصّ به من يشاء من عباده المخلصين.

ج- مقارنة القوى الإدراكية والأبعاد الوجودية للإنسان بين الرؤية القرآنية والذكاء الاصطناعي

ما ورد في الآيات القرآنية حول القدرات الوجودية للإنسان يبيّن أنّ الرؤية القرآنية ترى في الإنسان إمكانياتٍ وملكاتٍ لا تنحصر في بعده المادّي. فخصائص مثل الخلافة الإلهية، والإرادة الحرّة، والقدرة على التكامل، والفطرة ليست ناتجةً عن مجرد عمليات دماغية مادّية. وهنا يطرح تساؤل جوهري: إذا كان الإنسان مجرد كيان مادّي بحت، فأين تكمن هذه القدرات غير المادّية؟ الحقيقة التي يؤكدها القرآن أنّ الماهية الإنسانية تختلف جذريًا عن أيّ آلة مصنوعة، مهما بلغت من التطور، فالإنسان يمتلك روحًا إلهيةً كما في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ [سورة الحجر: 29]، ولديه إرادة حقيقية ومسؤولية أخلاقية: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: 3]. يتمتّع بقابلية للارتقاء الروحي والمعرفي الذي يتجاوز الحدود المادّية، بينما تظلّ الآلات - حتى الأكثر تطورًا - أسيرةً لبرمجة البشر، عاجزةً عن إدراك الحقائق الغيبية أو التحلّي بالأخلاق الربّانية أو نيل العلم اللدني.

وفيما يتعلّق بالإدراكات الخاصّة بالإنسان، فإنّ هذا التعارض يظلّ قائماً؛ لأنّ جميع هذه الإدراكات تُمنح للإنسان بناءً على صلته بعالم الملكوت. وتلقّي هذه المعارف يتطلّب أن يكون الإنسان - على الأقلّ في بُعد من أبعاد وجوده - قادراً على التواصل مع العالم غير المادّي. وبالتالي، لا يمكن بأيّ حال التوفيق بين نظرية الذكاء الاصطناعي - التي تنكر من الأساس أيّ بُعد غير مادّي للإنسان، وتحصر إدراكاته الذهنية في التفاعلات المادّية للدماغ - وبين الرؤية القرآنية للإنسان. فالقرآن يؤكّد وجود أبعاد روحية وغيبية في الإنسان، بينما يقف الذكاء الاصطناعي عاجزاً عن إدراك هذه الأبعاد أو محاكاتها.

المبحث الخامس: إمكانية تحقيق الذكاء الاصطناعي الخارق في ضوء الآيات القرآنية

بعد استعراض الآيات القرآنية المتعلقة بأبعاد الإنسان وقدراته الوجودية ومعارفه، يمكننا أن نستنتج أن تحقّق "الذكاء الاصطناعي الخارق" - بمعنى كيان قادر على محاكاة جميع قدرات العقل البشري وخصائصه النفسية - يتعارض جوهرياً مع الرؤية القرآنية للإنسان من عدّة وجوه. ولتوضيح هذا التعارض، سنتناول في ما يلي نقداً تحليلياً لأسس الذكاء الاصطناعي ومبادئه في ضوء الآيات القرآنية.

أولاً: انحصار المعرفة البشرية في الحسّ والتجربة

كما سبق ذكره، فإنّ المبدأ المعرفي الأساسي للذكاء الاصطناعي الخارق يقوم على حصر المعرفة البشرية في التجربة والمشاهدات الحسيّة فقط، باعتبارها المصدر الوحيد للمعرفة الموثوقة. بينما ينقض القرآن الكريم هذا المبدأ من الأساس؛ إذ يوسّع دائرة المعرفة البشرية لتشمل ثلاثة مصادر وهي:

1- الحسّ والتجربة: كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [سورة النحل: 78].

2- العقل: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف: 2]، وكذلك ما ورد في الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

[سورة الملك: 10].

3- القلب (الشهود الباطني): يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [سورة الأنعام: 75]. يقول السيّد الطباطبائي في توضيح معنى الملكوت المذكور في الآية المباركة: «الملكوت هو وجود الأشياء بحسب نسبتها إلى الله، ورؤية الملكوت تعني رؤية الله من خلال رؤية المخلوقات» [الطباطبائي، الميزان، ج 7، ص 242]. وبما أنّ الإنسان لا يستطيع إدراك هذه الحقائق كلّها بالعين الظاهرة والاستدلالات العقلية، فإنّ ذلك يثبت أنّ الله تعالى كشف هذه الحقائق لإبراهيم عليه السلام عن طريق الشهود الباطني، برفع الحجب التي تحول دون رؤية الحقائق في الحالة العادية. فإذا كان البصر المادّي لا يدرك إلاّ الأمور المحسوسة، وكان ملكوت السماوات والأرض (بحسب تفسير السيّد الطباطبائي) غير خاضع للإدراك المادّي، فإنّ ذلك يستلزم بالضرورة وجود بُعد غير مادّي في الإنسان، وقدرة خاصّة على تجاوز الحدود المادّية، وهذا يثبت التمايز الجوهرية للإنسان عن أيّ آلة ذكيّة، ويؤكّد استحالة تحقّق "الذكاء الاصطناعي الخارق" بمفهومه الفلسفي (المكافئ للعقل البشري)؛ لأنّ جوهر الإنسان - بحسب الرؤية القرآنية - يتجاوز الحدود المادّية، بينما تظلل الآلات حبيسة العالم المادّي المحسوس.

ثانياً: انحصار الوجود في المادّة

من النتائج الحتمية للأساس المعرفي للذكاء الاصطناعي هو حصر الوجود في المادّة، بمعنى أنّ جميع الموجودات في الكون هي مادّية، وهو ما يعبر عنه بأصالة المادّة. ولكن عندما نرجع إلى الآيات القرآنية نرى أنّ القرآن الكريم يقدم رؤية ثلاثية لعوالم الوجود:

1- العالم المادّي (الدنيا): وهو العالم الذي نعيش فيه، ويشبه حقلاً نزرع فيه أعمالنا وأفكارنا، كما في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [سورة الحديد: 20].

2- عالم البرزخ: وهو العالم الذي ينتقل إليه الإنسان بعد الموت، حيث يكون إمّا في نعيم أو عذاب حسب أعماله في الدنيا، كما يقول تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 100].

3- عالم الآخرة (الحياة الأبدية): وهو العالم الذي يأتي بعد عالم البرزخ وقيام الساعة، حيث يجزى كلّ إنسان حسب أعماله، إمّا بالجنّة أو النار، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [سورة العنكبوت: 64].

يُوبَخُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَحْصِرُونَ الْحَيَاةَ فِي الْعَالَمِ الْمَادِّي فَقَطْ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة الجاثية: 24].

وفي ضوء ما سبق عن الحياة البرزخية والأخروية، يتضح أنّ الحياة الأبدية للإنسان بعد الموت التي يؤكّد وجودها القرآن، تستلزم بالضرورة وجود بُعد غير مادي في الإنسان (كالروح)؛ لأنّ البعد المادي يندثر تماماً بالموت، ولا يبقى منه أثر لكي ننسب له الحياة المذكورة في القرآن الكريم.

هذه التقسيمات القرآنية تثبت أنّ الوجود لا ينحصر في المادة، بل يشمل عوالم غيبية لا يمكن للذكاء الاصطناعي - القائم على المادية المحضة - إدراكها أو محاكاتها، ممّا يؤكّد محدوديته أمام الرؤية القرآنية لحقيقة الإنسان وأبعاده الوجودية.

ثالثاً: نفي العلة الفاعلية بمعنى مفيضة الوجود

يعدّ إنكار العلة الفاعلية (بمعنى المفيضة للوجود) أحد الأسس الوجودية للذكاء الاصطناعي؛ إذ ينكر هذا المبدأ أيّ علة غير مادية لتكوين العالم، ويدّعي أنّ العوامل المادية وحدها كافية لتفسير الوجود. وهذا المنطق المادي يقود إلى تصوّر إمكانية صنع كيان مادي (آلة) بخصائص ذهنية تفوق القدرات البشرية في المستقبل!

أمّا من وجهة نظر القرآن الكريم، فإنّ الكون بأسره هو فعل الله، وجميع الأفعال والحركات والتأثيرات تنتهي إلى ذاته المقدّسة، فكما أنّ المخلوقات تحتاج إليه في أصل وجودها، فهي أيضاً تحتاج إليه في كلّ تأثير أو فعل تصدّره، وإن جرى ذلك عبر أسباب وعلل طبيعية.

تصرّح الآيات القرآنية بأنّ الكون بأسره هو من صنع الله ﷻ الذي يقول: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام: 102]، وكذلك يقول في خصوص حاجة الموجودات إليه في كلّ فعل وانفعال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [سورة الواقعة: 58 و59]؛ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [سورة الواقعة: 63 و64]؛ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [سورة الواقعة: 68 و69]؛ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [سورة الواقعة: 71 و72].

هذه الرؤية القرآنية للوجود تتعارض جذرياً مع الرؤية المادية لأنصار نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق؛ إذ لا يمكن بناءً عليها أن يكون الإنسان مجرد نتاج تطور مادي عشوائي عبر ملايين السنين، وهذا يؤكد أن محاولات خلق "ذكاء فوق بشري" هي ضربٌ من الوهم المادي؛ لأنّ التفوّق الحقيقي - في المنظور القرآني - ليس في القوّة الحسابية، بل في القرب من الله ﷻ وفهم أسرار الوجود التي لا تُدرك بالخوارزميات!

رابعاً: النظرة الأحادية للعلاقة بين الذهن والبدن

بناءً على نظرية الذكاء الاصطناعي الخارق، فإنّ الإنسان كائن مادي، وجميع أنشطته الفكرية وإدراكاته ناتجة عن التفاعلات المعقّدة في الدماغ. وبناءً على هذه النظرة للإنسان، فإنّ تصوّر كائن مادي مشابه له - جزء منه يعمل بتقليد دقيق لوظائف الدماغ البشري ليمثّل جميع أنشطته - يبدو معقولاً ومقبولاً تماماً؛ لأنّه في هذا الافتراض، تتوقّر جميع المقدمات لتحقيق الإدراك والتفكير والتطور العلمي في الآلة الافتراضية، ومن المحال عقلياً تخلف المعلول عن علته التامة.

أمّا بالنظر إلى الآيات القرآنية - كما ذكر سابقاً - فإنّ وجود الإنسان لا يقتصر على جسده المادي، بل له بعد غير مادي يُعدّ جوهر ماهيته الإنسانية.

يُعرّف القرآن الكريم البعد الثاني للإنسان بالروح، ويعدها حقيقته الأصيلة. أمّا الجسد المادي للإنسان - الذي في نظرية الذكاء الاصطناعي هو أصل الإنسان وكلّ كينونته - فإنّه في المنظور القرآني يُعدّ البعد الأدنى للإنسان، الذي يرافقه فقط حتى انتقاله إلى دار الحياة الحقيقية. فالإنسان في نظر القرآن بلحاظ جسمه المادي كائنٌ لا قيمة له: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ [سورة القيامة: 37]، إلا أنّ خلقه يصبح جديراً بالتمجيد عندما ينفخ فيه الروح الإلهي: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة ص: 72]. لذلك فإنّ النظرة القرآنية إلى الروح المجردة للإنسان ومكانتها الرفيعة تختلف جوهرياً عن الرؤية المادية للإنسان في نظرية الذكاء الاصطناعي، ويبدو أنّه لا سبيل للتوفيق بين هاتين الرؤيتين.

الخاتمة

ما تمّ بحثه في هذه المقالة هو مسألة إمكانية تحقيق الذكاء الاصطناعي الخارق في ضوء الآيات القرآنية. والمقصود بالذكاء الاصطناعي القويّ -الذي تمّ تحليله في الدراسة - هو ذكاءٌ يحاكي جميع قدرات الذكاء البشري (مثل الوعي، والإرادة، والتفكير، وفهم المعنى واللغة، والتعلّم، وغيرها).

بعد دراسة الأسس والمبادئ التي تحكم رؤية الذكاء الاصطناعي القويّ وعرضها على النصوص القرآنية، تبين أنّ حقيقة الإنسان - من المنظور القرآني - لا تنحصر في بُعد المادّي، بل إنّ الإنسان - وفق الرؤية القرآنية - يمتلك بالإضافة إلى جسده المادّي روحاً تشكّل شخصيته وهويته الحقيقية. هذا الاختلاف الجوهرى في النظرة إلى الإنسان يلغى تماماً إمكانية تحقّق الذكاء الاصطناعي الخارق بالمعنى المذكور؛ لأنّ هذه النظرية تتجاهل الأبعاد الوجودية الأخرى للإنسان، وتتعامل معه حصرياً من زاوية بعده المادّي، ممّا يناقض الرؤية القرآنية لأبعاد الإنسان وقدراته الوجودية.

قائمة المصادر

- الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، إسماعيليان.
 صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982 م
 معلمى، حسن، نگاهی به معرفت شناسی در فلسفه ی غرب، انتشارات پژوهشگاه
 فرهنگ و اندیشه ی اسلامی، چاپ دوم، 1388 ش.
 حسنی آهنگر، محمدرضا، اصول و مبانی هوش مصنوعی، مؤسسه ی چاپ و انتشارات
 دانشگاه امام حسین علیه السلام، تهران، چاپ یکم، 1388 ش.
 رهنمون، رامین، داستان شیرین هوش مصنوعی، انتشارات ارسا، چاپ یکم، 1384 ش.
 مصباح الیزدی، محمدتقی، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، المترجم محمد عبد المنعم
 الخاقاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
 مطهری، مرتضی، مجموعه ی آثار شهید مطهری، انتشارات صدرا، 1376 ش.

Blay Whitby ,Artificial Intelligence: A Beginner's Guide, published by Oneworld Publications, 2008, London.

Bostrom, Nick, "How long before superintelligence?". Reprinted in Linguistic and Philo-
 sophical Investigations, 2006, Vol. 5, No. 1..

Dreyfus, Herbert, & Dreyfus Stuart E. 1992. "Making A Mind Versus Modelling The Brain:
 Artificial Intelligence Back At a Branch-Point" The Philosophy of Artificial Intelligence. Ed .
 by Margaret A. Boden. Oxford: Oxford University Press.

Henry Brighton, Introducing Artifical Intelligence A Graphic Guide, Icon Books Ltd, Lon-
 don, 2012.

JOHN Searle, Minds Brains And Science, Harvard University Press Cambridge, Massachu-
 setts, 2003.

Keith T. Maslin, An Introduction to the Philosophy of Mind, Published by Black well, 2001,
 United States.

Lycan, William, Philosophy of Mind, Blackwell Companions to Philosophy, Malden, 2003.

Martin Davies, The Philosophy of Mind, Published by Oxford University Press, 1995, New York.

MAX Tegmark, Life 3.0 , Being Human In The Age Of Artificial Intelligence, division of Penguin Random House LLC, New York, 2017.

Newell, Allen. and Simon, Herbert. 2006, Computer Science as Empirical Inquiry; Symbols and Search. Website: David J. Chalmers. Part 4

Nils J . Nilsson , Artificial Intelligence: A New Synthesis , Morgan Kaufmann Publishers, Inc, 1998.

Paul M. Churchland, Matter and Consciousness: A Contemporary Introduction to the Philosophy of Mind, Published by Bradford Books, 1988, Colorado.

Ravenscroft, Ian, Philosophy of mind : a beginner's guide, published by Oxford University Press, 2005, New York.

Ray Kurzweil, The Singularity is Near, 2005, Viking